المحاضرة الثالثة: الثّنائية اللّغوية

أ_ ضبط المفاهيم:

لا بد أن نضبط جملة من المفاهيم التي تتداخل فيما بينها في هذا الباب، وهي: الفصحى و العامية، واللّهجة، والثنائية اللغوية، والازدواجية اللغوية.

1_الفصحى: هي اللغة النّموذجية الرئيسة التي تتفرع عنها اللّهجات، واللغة العربية الفصيحة هي التي نزل بها القرآن الكريم، وهي لغة الأدب العربي شعرا ونثرا، منذ القديم إلى اليوم، وهي اللغة التي تستخدم في الخطابة والمحاضرات ولتعليم والمعاملات الرسمية...

2_ العامية: تقابل الفصحى، وهي لغة الحديث اليومي، يستخدمها العامة والخاصة، في شؤون حياتهم العادية، في البيت، والسوق، المقهى، والشارع...والعامية أوسع دائرة من اللهجة فقد تشتمل على قدر كبير من الاختلافات على مستوى المفردات والتراكيب، بل تضم أيضا الدّخيل والأجنبي من المفردات...

3_ **اللّهجة**: مجموعة من الصّفات اللّغوية، تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصّفات جميع أفراد هذه البيئة، وغالبا ما تكون هذه الصفات صوتية متعلّقة بمخارج الحروف وكيفية نطقها، ومقياس أصوات اللّين، وأمالتها...وقد يتعدى الاختلاف بين اللّهجات إلى بعض المفردات والتراكيب والصيغ، في القليل النادر.[1]

- ووجه الفرق بين هذه المصطلحات السّابقة هو أن الفصحى تمثل القاعدة والجوهر، والنّموذج، وهي واحدة لا تتعدد، بينما اللّهجات تمثل فروعا عن الفصحى، وهي متعدّدة، تختلف من بيئة إلى أخرى، واللّهجات تشتمل على أكبر قدر من الفصاحة، من حيث المفردات والدلالات، والاختلاف عادة يكون في الجانب الصوتي فقط، وهي لا تشتمل على مفردات خارجة أجنبية، والعامية أوسع في الاستعمال، فهي خليط من اللّهجات والفصحى، ومن الدّخيل والأجنبي، فهي مزيج من كل ذلك يغلب عليها الفساد وعدم الفصاحة.

4_ الازدواجية اللّغوية: هي وجود اكثر من مستويين للغة في مجتمع واحد، مستوى رسمي فصيح، وآخر عامي دارج، يستخدم كل مستوى لغرض معين، وخير مثال نسوقه في هذا الباب حال العربية الفصيحة واختلاف لهجاتها في الوطن العربي.[2]

5_ الثنائية اللّغوية: وهي ظاهرة اجتماعية تعني استعمال الفرد والمجتمع في منطقة ما، للغتين مختلفتين، كاستعمال الفرنسية والألمانية في أجزاء من سوسرا...[3]

---

[1] ينظر، فقه اللغة، للنادري.

[2] ينظر: محمد عفيف الدين الدمياطي، مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، مكتبة لسان عربي، مالنج، اندونيسيا، ط2، 2017، ص72-73

[3] المرجع نفسه، ص 65.

والفرق بينه الازدواجية والثنائية اللغوية واضح، فالأولى تكون داخل لغة واحدة تتعدد فيها المستويات الكلامية، والثانية أي الثنائية تكون بين لغتين مختلفتين تماما داخل مجتمع واحد.

ب_ أنواع الثنائية اللغويّة:

- **الثنائية اللغوية الفردية**: وهو أن يتكلّم الفرد لغتين ويستعملهما في تواصله، وهنا تدرس الثنائية على أنها ظاهرة فرديّة، كما تدرس الظواهر الفردية الأخرى مثل الذكاء، والقدرة اللغوية، والتحصيل...
- **الثنائية اللغوية المجتمعيّة**: يتعلق الأمر باستعمال المجتمع ككل لغتين مختلفتين، بدرجات متساوية أو متفاوتة، وفي هذه الحال تدرس على أنها ظاهرة اجتماعية، فتعالج العوامل اللّغوية المتصارعة في ذلك المجتمع.

ج_ الثنائية اللغوية وتأثيراتها:

1 - الثنائية اللغوية والمهارات اللّغوية:

لا شك أنه من الصعب أن يجد المرء نفسه في بيئة يسمع فيها لغتين بالتساوي ويتكلم فيها لغتين بالتساوي ويكتب لغتين بالتساوي. إن الثنائية اللغوية المتوازنة ليست سهلة المنال. وفي الغالب يتعرض الفرد للغة ما أكثر من تعرضه للأخرى. ويستعمل لغة ما أكثر من استعماله للأخرى، حسب ظروف البيئة، ومقتضيات الاتصال اللغوي. فهل هذا يعني أن اللغة المستعملة أكثر يتقنها الفرد على حساب اللغة المستعملة أقل؟

لقد دلت الأبحاث والدراسات أن ثنائي اللغة يواجه مشكلات عديدة في نموه اللغوي. ويرى البعض أن الثنائي لديه مفردات نشيطة ومفردات خاملة أقل عددا من مفردات أحادي اللغة، لأن الثنائي عليه أن يحفظ كلمتين لكل معنى. فالشيء الذي هو "كرسي" مثلا يجب أن يحفظ له كلمتين واحدة باللغة الأم والأخرى باللغة الثانية.

لذلك فكلمات الثنائي في اللغة الواحدة تكون أقل منها عند الأحادي لأن هذا الأخير يركز على لغة واحدة. في حين أن الثنائي تتنازعه لغتان، ويميل الثنائي إلى استخدام عدد أقل من الكلمات مما يفعل

الأحادي. كما أن مفردات الثنائي تميل إلى الاختلاط بسبب ميله إلى التحول والاقتراض من لغة إلى لغة أخرى.

ب.الثّنائية اللغوية والتّحصيل الدّراسي:

ما تأثير الثنائية اللغوية على الفرد من حيث تحصيله الدراسي؟ هل تساعده دراسيّا أم تعيقه؟

جاءت إجابات الدراسات حول هذه التساؤلات متناقضة، فقد دلت بعضها على أن الثنائية اللغوية تضر بميل الطفل واستعداده لتعلم اللغة وتعيقه في القراءة والدراسة بوجه عام وفي التهجية والتاريخ والجغرافيا بوجه خاص. وقد تؤدي الثنائية اللغوية في رأي البعض إلى ضعف الميل والاستجابة في الصف. كما قد ينمو لدى الطفل شعور بكراهية المدرسة مما يؤدي إلى التسرب المبكر منها. وقد يجد الثنائي صعوبة في العثور على وظيفة.

ومن ناحية أخرى، هناك دراسة نفت أي تأثير سلبي للثنائية، بل ترى هذه الدراسات أنّ للثنائية مزايا تربوية. فالطفل ثنائي اللغة يحس بالمكانة والإنجار، وهو إحساس يفتقر إليه أحادي اللّغة. كما أن الثنائية تحفز على المذاكرة والاجتهاد. كما تجعله يتفاهم مع أقرانه ويتعداهم إلى عالم آخر من الثقافة والفكر. ويصبح لديه ميل أكثر من الأحادي إلى التاريخ والجغرافيا والأدب، والدين، والسفر، والفن. وتصبح لديه فرص أوفر اجتماعيا ومهنيا.

ويرى البعض أن الثنائية تعيق الطفل في حياته الدراسية الأولى، ولكن لا تعيقه في المستوى الجامعي، بل إن الثنائي أكثر تفوقا في الجامعة من الأحادي.

وخلاصة لهذا الجدل يمكن القول إن المسألة لا تتعلق بالثنائية أبدا، بل بدرجة الثنائية، فإذا كان الفرد يتقن كلتا اللغتين فإن الثنائية لا تعيقه دراسيا إذا تعلم بإحدى اللغتين اللتين يتقنهمها أكلتيهما معا. وإذا كان الفرد يتقن لغة لأكثر من الأخرى وعلمناه باللغة التي يتقنها فإن ثنائيته في هذه الحالة لا تعيقه دراسيا. أمل إذا علمناه باللغة التي لا يتقنها هنا تعيقه الثنائية دراسيا. وباختصار يعيقه تعليمه بلغته الأضعف.